DOI:10.52113/uj05/023-16/619-627 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة: www.muthuruk.mu.edu.iq

عاطفة الأنثى في القرآن الكريم قصة أُمِّ موسى أنموذجاً

دراسة في بنية اللغة

أنوارعزيزجليل الأسديّ*

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/12/6
تاريخ التعديل : 2022/12/29
قبـول النشـر: 2023/1/9
متوفر على النت: 2023/4/16

الكلمات المفتاحية :

العاطفة ، الذكر ، الأنثى.

الملخص

تصاعدت الأصوات حتى وصلت حد البديهيات أن العاطفة هي المرأة, والمرأة هي العاطفة, بدليل قصة أُمِّ موسى في قوله تعالى: ﴿ وأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إن كادَتْ لَتُبدِي بِهِ لَولا أن رَّبطنَا على قَلبِهَا لِتَكُونَ مِن المُؤمِنِين_ القصص: 10﴾, وأصبح الحكم من خلال هذه الآية مطلقاً للحكم على المرأة بالعاطفة. وليته كان حكماً ممدوحاً وإنما سلب هذا الحكم من المرأة الكثير من الحقوق بدعوى هذه الآية التي لا نجد فيها ما وجدوه. فكان لنا وقفة مع هذه الآية بشكل خاص, ومع قصة أُمِّ موسى بشكل عام, من خلال هذه الدراسة في إثبات أن العاطفة ليست مطلقة عند المرأة, وأنها تمتلك العقل الذي ساهم وبشكل كبير في النهوض بواقع المجتمعات.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2023

المقدمـة:

كثيرة هي المناقشات ولاسيّما في القرآن الكريم, وكثير ما تكون هذه المناقشات بذرة لبحوث ودراسات تُسقى بالفحص العلمي والقراءة الثاقبة والتقليب المنهجي, ومن هذه المناقشات كانت ثمرة هذا البحث. إذ تصاعدت الأصوات حتى وصلت حد البديهيات أن العاطفة هي المرأة, والمرأة هي العاطفة. وعندما طلبتُ الدليل على ذلك من القرآن الكريم _ إذ هو الحكم الفيصل في ذلك _ استشهدوا بقوله تعالى في قصة أُمِّ موسى: ﴿ وأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إن كادَتْ لَتُبدِي بِهِ لَولا أن رَّبطنَا على قَلبِهَا لِتَكُونَ مِن المُؤمِنِين_ القصص: 10﴾, وأصبح الحكم من خلال هذه الآية مطلقاً للحكم على المرأة بالعاطفة. وليته كان حكماً ممدوحاً وإنما سلب هذا الحكم من المرأة الكثير من الحقوق بدعوى هذه الآية التي لا نجد فيها ما وجدوه. فكان لنا وقفة مع هذه الآية بشكل خاص, ومع قصة أُمِّ موسى بشكل عام, من خلال هذه الدراسة.

وكان البحث عند مفردة العاطفة لغةً واصطلاحاً في القرآن الكريم تمهيداً للبحث, وقد طال وقوفنا في المبحثين الأول والثاني كثيراً, فكان المبحث الأول بعنوان: عاطفة الأنثى في القرآن الكريم (قصة أُمِّ موسى أنموذجاً) في سورتي طه والقصص. وتناول المبحث الثاني هذه العاطفة أيضاً, ولكن من خلال البنية اللغوية لها متمثلة بالبناء الصوتي والصرفي والتركيبي, فضلاً عن المفارقات والموافقات في هذه القصة بين السورتين. ولابد لهذا الوقوف من جلوس في خاتمة مردفة بقائمة الهوامش ثمَّ قائمة المصادر والمراجع.

*الناشر الرئيسي : E-mail : anwar.aqeeq@gmail.com

سائلة المولى جل وعلا أن يجعل ما كتبتُ في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه مجيب الدعاء.

التمهيد

العاطفة لغة واصطلاحاً

العاطفة لغة: من عَطَفَ: ((العين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدل على انثناء وعِياج. يقال: عَطَفتُ الشيء, إذا أملته, وانعطف, إذا انعاج, ومصدر عَطَفَ: العطوفُ, وتَعطّفَ بالرحمةِ وتَعطّفَ بالرحمةِ تَعطُّفاً. وعَطَف الله تعالى فلاناً على فلانٍ عطفاً. والرجل يَعطِفُ الوسادةَ: يثنيها, عطفاً إذا ارتفق بها))[1]. إذن فالعطف هو الانثناء والعَوَج* بمعنى: الميل والرفق.

جاء في مفردات الراغب الأصفهاني: أن ((العطفُ يقال في الشيء إذا ثُنِيَ أحدُ طرفيه إلى الآخر, كعَطْف الغُصنِ والوسادةِ والحبل, ومنه قيل للرداءِ المثني: عِطافٌ))[2], وقال في موضع آخر: ومنه يُستعار للميل والشفقة إذا عُدِّيَ بعلى, يقال: عطف عليه وثناه. وإذا عُدِّيَ بعن يكون على الضد, نحو: عَطَفْتُ عن فلان[3]. هذا يعني أن العطف هو الثني بمعنى: الميل والشفقة. ومن خلال هذين النصين نستطيع أن نقول إن **العاطفة اصطلاحاً:** هي الميل والرفق والشفقة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن كلمة (عطف) ومشتقاتها لم ترد في القرآن الكريم مطلقاً, وإنما وردت إحدى معانيها, وذلك في قوله تعالى: ﴿ **نأى بجانبه** ﴾[4]. قال الراغب الأصفهاني عند إيراده لهذه الآية في مفرداته: ((عِطفا الإنسانِ: جانباه من لدُنْ رأسه إلى وركه, وهو الذي يمكنه أن يلقيه من بدنه. ويقال: ثنى عِطْفهِ: إذا أعرض وجفا))[5]. أي أن تفسير نأى بجانبه: مال بعِطفه. يؤكد هذا المعنى قول الفيروزآبادي في قاموسه: ((عِطْفا كلِّ شيءٍ, بالكسر: جانباه))[6].

وهنا أسئلة لابد من الإجابة عليها, ألا وهي:

أولاً: إذا كان لفظ العاطفة لم يرد في القرآن الكريم, فمن أين ارتبطت هذه المفردة بالأنثى؟

ثانياً: هل العاطفة عند الأنثى مطلقة أم مقيَّدة؟

وفي إجابتنا عن هذين السؤالين ستكون الانطلاقة لهذه الدراسة.

المبحث الأول

عاطفة الأنثى في القرآن الكريم قصة أُمّ موسى (عليهما السلام) أنموذجاً

يمكننا أن نجد الإجابة عن السؤال الأول _ من أين ارتبطت مفردة العاطفة بالأنثى ؟ _ من القرآن الكريم نفسُه, وذلك من خلال استعراض ثلاث نماذج نسويَّة في قصة ولادة موسى (عليه السلام), هي: أُمُّ موسى _ وهي مركز البحث_ وأخت موسى, وامرأة فرعون, ودور عاطفتهنَ جميعاً في حماية نبوة أحد أنبياء أولي العزم, وتمهيد الطريق للنهوض بدعوته, وهو موسى (عليه السلام).

وقد ذكرهنَ القرآن الكريم في موضعين, الأول: في سورة طه, وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ولَقَد مَنَنَّا عَليكَ مَرَّةً أُخرَى ۞ إذ أَوحَينَا إلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۞ أَنِ اقذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَليُلقِهِ اليَمُّ بالسَّاحِلِ يَأخُذهُ عَدُوٌّ لِّي وَعدُوٌّ لَّهُ وألقَيتُ عَليكَ مَحبَةً مِّنِّي وَلِتُصنَعَ عَلى عَينِي ۞ إذ تَمشِي أُختُكَ فَتَقُولُ هَل أَدُلُّكُم عَلَى مَن يَكفُلُهُ فَرَجَعنَاكَ إلَى أُمِّكَ كَي تَقَرَّ عَينُهَا ولا تَحزَنَ** ﴾[7].

والثاني: في سورة القصص, قال تعالى: ﴿ **وأوحينَا إلى أُمِّ مُوسى أنْ أرضعيهِ فإذَا خِفتِ عليهِ فألقيهِ في اليمِّ ولا تخَافي ولا تحزَني إنَّا رادُّوهُ إليكِ وجاعِلُوهُ من المُرسَلِين ۞ فَالتَقَطهُ آل فِرعونَ ليكون لهم عَدُواً وحَزَناً إنَّ فِرعونَ وهامانَ وجُنُودَهُما كَانُوا خَاطِئين ۞ وقَالتِ امرأتُ فِرعونَ قُرَّتُ عَينٍ لي ولَكَ لا تَقتُلُوهُ عَسَى أن يَنفَعَنا أو نَتَخِذَهُ وَلَداً وَهُم لا يَشعُرُون ۞ وأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارغاً إن كادَتْ لَتُبدِي بِهِ لَولا أن رَّبطنَا على قَلبِهَا لِتَكُونَ مِن المُؤمِنين ۞ وَقَالتْ لِأُختِهِ قُصِّيهِ فَبصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُم لا يَشعُرُون ۞ وَحَرَّمنَا عَلَيهِ المَرَاضِعَ مِن قَبلُ فَقَالَتْ هَل أدُلُّكُم عَلَى أَهلِ بَيتٍ يَكفُلُونَهُ لَكُم وهُم لَهُ نَاصِحُون ۞ فَرَدَدنَاهُ إلى أُمِّهِ كي تَقَرَّ عَينُهَا وَلا تَحزَنَ وَلِتَعلَمَ أنَّ وَعدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُون** ﴾[8].

DOI:10.52113/uj05/023-16/619-627

ومن خلال استقراء هذه النصوص القرآنية نرى أن العاطفة ذكرت بالمعنى لا باللفظ في هذه الشخصيات الثلاث. وقد وضّحتْ الآيات المباركة عاطفة كلَّ واحدةٍ منهن, أي أن الآيات ترجمت معنى العاطفة وطبّقته على الواقع الخارجي من خلال مصداقيتها عند هذه الشخصيات النسويّة.

وأول من ترجمتْ هذه العاطفة الأمّ أو الوالدة اتجاه وليدها, فقد أوحى* الله تعالى لها أن ترضعه ثمَّ تضعه في التابوت أو الصندوق, ثُمَّ تلقيه في اليمِّ, بعد أن جعل خوفها علامة لتنفيذ خطتها. منهيّاً بذلك خوفَها وحزنَها من أن يُذبَح وليدُها, واعداً إياها برعايته وحفظه, ورجوعه إليها, وجاعله من المرسلين, وهذا هو الجانب الإيجابي لعاطفة الأنثى بالمعنى, فلولا خوفها على وليدها لما أقدمت على تنفيذ هذه الخطة.

بعدها يُظهِر المشهد القرآني شدة الأمر وقسوته على فؤاد أُمِّ موسى, فأصبح فارغاً من كلِّ شيءٍ في الدنيا إلا موسى, وكادتْ أن تبدي به وتكشف أمره, لولا أن ربط الله تعالى على قلبها. وهذا هو الجانب السلبي لعاطفة الأنثى بالمعنى أيضاً.

فقد أرادت أمُّ موسى أن تُصرّح بوليدها بعد أن رأته يبعد عنها, وتُهدِم الخطة الإلهية عندما انقادت وراء عاطفتها وألغت عقلها, ولولا تدخل القدرة الإلهية وربط قلبها صبراً على فراق مولودها, لما تم الأمر. ولولا اعتراض المولود على كل المراضع, لما ردَّهُ الله إليها.

ولكن عاطفة أمِّ موسى هنا ليستْ سلبيّةً بقدر ما هي إيجابيةً في الوقت ذاته؛ لأن الأُمَّ بطبيعتها التي جُبلت عليها لا تفترق عن رضيعها, بل أن الرضيع يكون أقرب ما يكون إلى أمِّه, ولا يشاركها في ذلك حتى والده. ويمكننا أن نقول لو أن هذا التصرف لم يصدر من أمِّ موسى لكان هو ما وصف بالسلبيّة؛ لأنه من غير الطبيعي أن لا تبدي به عندما تراه في أحضان غيرها, بل أكثر من ذلك, هو دخوله إلى بيت فرعون الذي يخطط لقتل جميع الأطفال, فلابُدَّ هنا من أن يكون فؤادها ((فارغاً من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة, حين سمعت بوقوعه في يد عدوه فرعون))[9]. إذن فالسلبية التي قصدناها هي مقام أو موقف العاطفة لا العاطفة نفسها, إذ كيف لها أن تبدي به؟! وقد أوحى الله تعالى إليها ما أوحى, من ردِّهِ إليها وجاعله من المرسلين, ثُمَّ كيف لها أن تبدي به؟! وفرعون يقتل الأطفال جميعاً, فكشف خبره لا يزيد الأمرَ إلا سوءاً.

بعدها يأتي دور الشخصية النسويّة الثانية في حياة موسى (عليه السلام), وهي امرأة فرعون, وهنا تتدخل الإرادة الإلهية مرة أخرى, ((إنّ الله بالغ أمره بتهيئة الأسباب المفضية إليه ... أراد أن يحصل ذلك بمشاهدة تنقلات الأحوال ابتداءً من إلقاء موسى في اليم إلى أن رده إلى أُمه... فإن وجود امرأة فرعون كان سبباً في صدِّ فرعون عن قتل الطفل))[10] إذ يلقي الله جلَّ وعلا محبة منه على موسى, أي جعله محبوباً عند من يراه فيعلق قلبه به, وهذا ما حدث مع عدوه, فعندما قالت امرأة فرعون لزوجها الطاغية: ﴿ **قُرَّتُ عَينٍ لِي ولَكَ لا تَقتُلُوهُ عَسَى أن يَنفَعَنا أو نَتَخِذَهُ وَلَداً** ﴾[11], استقبله ولم يقتله. إذن فالعاطفة تحققت بالمعنى الإيجابي هنا أيضاً في شخص امرأة فرعون, أي أن الله تعالى وظَّف عاطفة الأنثى في التمهيد لحفظ رسالة عظمى متمثلة برسالة موسى (عليه السلام), ولولا هذه العاطفة لقُتِل موسى وصار في خبر كان. وحلقة الوصل بين هاتين الشخصيتين النسويتين, هي الشخصية النسوية الثالثة, وهي أخته, إذ لولا تعقّب الأخت الحنون أخاها, بناءً على أمر أُمِّها, ما حصل اللقاء بين أمِّ موسى وامرأة فرعون, لتتم عملية الإرضاع. وهذا يعني أنَّ إلقاءه في اليمِّ كان محسوباً ولم يترك سُدىً. ثُمَّ أنَّ ما رافق هذه المراقبة من الحذر الشديد, بدليل قوله تعالى: ﴿ **فَبصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُم لا يَشعُرُون** ﴾[12], يؤكد مقدرة الأنثى على ضبط عاطفتها, وتوجيهها توجيهاً مختلفاً, أي تحولت العاطفة عند الأخت إلى عاطفة استخباراتية بامتياز لا عاطفة باكية مقهورة ضعيفة. كلُّ هذا مستوحًى من القصة في السورتين, أي في سورتي طه والقصص, بدافع العاطفة الإيجابية المتحققة بالمعنى أيضاً دون اللفظ.

من هنا نستطيع أن نجيب على التساؤل الأول الذي طرحناه في التمهيد, ألا وهو: من أين ارتبطت هذه المفردة بالأنثى؟. والجواب:

DOI:10.52113/uj05/023-16/619-627

هو من خلال عاطفتها مع الأطفال, سواءً أكانوا أولادها أم لا, وسواءً أكانت أُمّاً أم لا.

إذن فالعاطفة عند الأنثى فطرةٌ جبلتْ عليها اتجاه هذه الفئة العمرية المحددة من البشر لا غير. جاء في كتاب (المرأة في القرآن) لعباس محمود العقاد*: من الطبيعي أن يكون للمرأة تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل بسبب ملازمة الطفل الوليد[13], وهذا يعني أن العاطفة عند الأنثى مقيدة لا مطلقة, بمعنى أن عاطفتها ليست مباحة دائماً, ولا معروضة للجميع, فضلاً عن قدرتها على التحكم بها وتوجيهها بما يلائم مزاجها ونفسيتها. ويمكن أن يكون هذا جواباً للسؤال الثاني.

وإذا قلنا ذلك, فلماذا ذُمتْ هذه الصفة عند الأنثى؟! أو بصيغة أخرى لماذا مُنعت الأنثى من مزاولة الكثير من الوظائف أو الحقوق بحجة عاطفتها؟! فهل هذه الصفة خاصة بالأنثى دون الذكر[14]؟!

المبحث الثاني

العاطفة في قصة أُمّ موسى في القرآن الكريم دراسة في بنية اللغة

قصة أُمّ موسى وردت في القرآن الكريم في موضعين: **الأول:** في سورة طه: ﴿ **ولَقَد مَنَنَّا عَليكَ مَرَّةً أُخرى ❁ إذْ أَوحَينَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ❁ أَنِ اقذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلقِهِ اليَمُّ بالسَّاحِلِ يَأخُذهُ عَدُوٌّ لِّي وَعدُوٌّ لَّهُ وألقَيتُ عَليكَ مَحبَةً مِّنِّي وَلِتُصنَعَ عَلى عَينِي ❁ إذْ تَمشِي أُختُكَ فَتقُولُ هَل أَدُلُّكُم عَلَى مَن يَكفُلُهُ فَرَجَعنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَي تَقَرَّ عَينُهَا ولا تَحزَنَ** ﴾[15].

والثاني: في سورة القصص, قال تعالى: ﴿ **وأوحينَا إلى أُمِّ مُوسى أنْ أرضعيهِ فإذَا خِفتِ عليهِ فألقيهِ في اليمِّ ولا تخَافي ولا تحزَني إنَّا رادُّوهُ إليكِ وجاعِلُوهُ من المُرسَلِين ❁ فَالتَقَطهُ آل فِرعونَ ليكون لهم عَدُواً وحَزَناً إنَّ فِرعونَ وهامانَ وجُنُودَهُما كَانُوا خَاطِئين ❁ وقَالتِ امرأتُ فِرعونَ قُرَّتُ عَينٍ لي ولَكَ لا تَقتُلُوهُ عَسَى أن يَنفَعَنا أو نَتَخِذَهُ وَلَداً وَهُم لا يَشعُرُون ❁ وأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إن كادَتْ لَتُبدِي بِهِ لَولا أن رَّبطنَا على قَلبِهَا لِتَكُونَ مِن المُؤمِنين ❁ وَقَالتْ لِأُختِهِ قُصِّيهِ فَبصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُم لا يَشعُرُون ❁ وَحَرَّمنَا عَلَيهِ المَرَاضِعَ مِن قَبلُ فَقَالَتْ هَل أدُلُّكُم عَلَى أَهلِ بَيتٍ يَكفُلُونَهُ لَكُم وهُم لَهُ نَاصِحُون ❁ فَرَدَدنَاهُ إلى أُمِّهِ كي تَقَرَّ عَينُهَا وَلا تَحزَنَ وَلِتَعلَمَ أنَّ وَعدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُون** ﴾[16].

المفارقات بين سورتي طه والقصص:

نلاحظ أن الخطاب في سورة طه موجه إلى موسى (عليه السلام), أما في سورة القصص فموجه إلى أُمّ موسى (عليهما السلام). إلا أنه لم يقتصر الأمر على ذلك, فهناك الكثير من الفوارق بين السورتين, وهذه الفوارق أنتجتها طبيعة المخاطَب, وطبيعة العاطفة في القصتين, وكما يأتي:

فمن الفوارق ذكر بعض الألفاظ في النص الأول أو السورة الأولى وحذفها من السورة الثانية, نلاحظ مثلاً أنّ سورة طه لم تشِر إلى مسألة الإرضاع, وأشارت سورة القصص إلى ذلك, ولعل السبب في ذلك, هو لأنّ الرضاعة أمر خاص بأُمّه لا بهِ, وبما أن الخطاب موجه إلى موسى لم تذكر السورة الإرضاع, بعكس سورة القصص, فالخطاب كان موجه إلى أم موسى, ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَحَرَّمنَا عَلَيهِ المَرَاضِعَ** ﴾[17].

وأشارت سورة طه إلى الإلقاء في التابوت قبل الإلقاء في اليمّ بينما لم تشِر سورة القصص إلى الإلقاء في التابوت وإنما كان الأمر فقط بالإلقاء في اليم؛ وذلك لأنّ الخطاب كما قلنا سابقاً موجه إلى أُمّ موسى, والأم لا تحتاج إلى تنبيهها لوضعه في التابوت, فليس من المعقول أن تلقيه في اليمّ هكذا, فهي لا تريد قتله, وإنما حمايته من القتل*.

ولم تذكر سورة طه خوف أُمّه وحزنها؛ لأنها لم تخبرها بأن موسى ﴿ **يَأخُذهُ عَدُوٌّ لِّي وَعدُوٌّ لَّهُ** ﴾[18], بينما في سورة القصص ذكرت ذلك؛ لأن الأُمَّ في حالة خوفٍ دائمٍ على وليدها دونما سببٍ, وربَّما لو كان الله تعالى أخبرها بما ذكره في سورة طه لموسى, لما أقدمت

DOI:10.52113/uj05/023-16/619-627

على إلقائه في اليمّ. والدليل على عدم علمها هو قولها لابنتها: ﴿ **وَقَالتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾[19]، أي: اتبعي أثره، فهي كما قال صاحب تفسير البحر المحيط: ((لا تدري أين استقر))[20].

والدليل الآخر على عدم علمها هو قوله تعالى في آية أخرى من سورة القصص: ﴿ **فَالتَقَطهُ آل فِرعونَ ليكون لهم عَدُواً وحَزَناً**﴾[21]. إذ الخبر جاء بصيغة الماضي (فالتقطه) ولم يأتِ بصيغة المضارع: (يلتقطه) أو (ثُمَّ يلتقطه) تماشياً مع الآية التي قبلها: ﴿ **ولا تخَافِي ولا تحزَنِي إنَّا رادُّوهُ إليكِ**﴾[22]؛ لأنه لم يكن ضمن الحوار أو الوحي لأُمّ موسى، وإنما كان الوحي هنا لمحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، أو كان الخبر للمتلقين، وبما أن القصة وقعت ضمن أحداث ماضية ناسب ذلك أن يعبر عنها بالفعل الماضي لا المضارع.

أما في سورة طه فكان الحديث أو الوحي مع موسى (عليه السلام)، وهي وإنْ تخبره بأحداث ماضية وقعت له مع أُمّه، إلا أن الحوار معه جاء بصيغة المضارع (يأخذه) في قوله تعالى: ﴿ **يَأخُذهُ عَدُوٌّ لِّي وَعدُوٌّ لَّهُ**﴾[23] وضمن الآية نفسها؛ وذلك لما في الفعل المضارع من دلالة على استحضار صورة حكاية ماضية إلى الذهن، وكأنها مشاهد مرئيّةٌ في وقت الإخبار[24]، وهذا ما يتناسب مع تذكيره بالمنَّة الأخرى التي ذكرها الله تعالى في مطلع القصة: ﴿ **ولَقَد مَنَنَّا عَليكَ مَرَّةً أُخرى** ﴾[25]، حيث أنجاه من القتل مرتين: الأولى: عندما كان رضيعاً، والثانية: عندما قتل نفساً، وهو المشار إليه بقوله تعالى في السورة نفسها: ﴿ **وقَتَلتَ نَفساً فَنَجَّينَاك مِن الغَمِّ**﴾[26]، الناشئ من خوف القصاص بالقتل[27]، بدليل قوله تعالى في سورة القصص: ﴿ **وجَاءَ رَجُلٌ مِن أقصَا المدِينةِ يَسعَى قَالَ يَا مُوسَى إنَّ المَلأَ يَأتَمِرونَ بِكَ لِيقتُلُوكَ فاخرُج إنِّي لَكَ مِن النَّاصِحِينَ**﴾[28].

ومن المفارقات بين النصين في السورتين أيضاً، أنه في سورة طه أخبر الله تعالى موسى بأنه ألقى عليه محبةً: ﴿ **وألقَيتُ عَليكَ مَحبَةً مِّنِّي**﴾[29]، وهو سبب تعلق عدوهِ به. إلا أنه في سورة القصص لم يذكر هذا السبب؛ وذلك لأن الأنثى لا تحتاج إلى هذه العلة لتتعلق بالأطفال، ولاسيَّما إذا كانت محرومة من هذه النعمة، فهي بطبيعتها التي جُبلت عليها تحب الأطفال، ونقصد بذلك آسيا امرأة فرعون. أما في الخطاب مع موسى فيحتاج إلى ذكر هذا السبب ليفهم سبب بقائه حيّاً في بيت عدو الله وعدوه.

كذلك لم تذكر سورة طه أمر أُمّ موسى لأخته باتباع أثر أخيها موسى، وإنما جاء فقط: ﴿ **إذْ تَمشِي أُختُكَ فَتقُولُ** ﴾[30]، في حين سورة القصص ذكرتْ ذلك: ﴿ **وَقَالتْ لِأُختِهِ قُصِّيهِ**﴾[31]. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أن للأُمّ ولاية على أبنائها مثلما الأب. وبما أنّ سورة طه كانت خطاباً لموسى ناسب ذلك أن يذكر له حنو أخته عليه وانشغالها بهِ، بينما سورة القصص كانت خطاباً للأمّ، وذكر حديثها مع ابنتها، وأمرها بالبحث عن أخيها، يعكس للقارئ مشهداً من العاطفة المشتركة بين الأُمّ وابنتها، إذ التخطيط والتدبر والحرص للاهتمام بهذا الرضيع.

ولأن المخاطب في السورتين مختلف؛ لهذا قال تعالى في سورة طه مخاطباً موسى: ﴿ **فَرَجَعنَاكَ إلَى أُمِّكَ**﴾[32]، بينما قال في سورة القصص إخباراً: ﴿ **فَرَدَدنَاهُ إلى أُمِّهِ**﴾[33]. ولعل الاختلاف في اختيار هاتين المفردتين: (فرجعناك، فرددناه)، في السورتين هو أن الرجوع من غير كراهة، أما الرد فبعكسه[34]. فضلاً عن الفارق الزمني وتغير حال موسى من عدمه بين الرجوع والرد بمعنى أن الرجوع متعلق بموسى، فرجوع موسى كان إلى موطنه بعد غربة عاشها عند نبي الله شعيب، أي بعد فترة زمنية طويلة، عندها أصبح رجلاً متزوجاً، كما أن رجوعه كان بإرادته. كما أن في لفظ الرجوع دلالة على تكرار الرد[35]؛ لأنه ليس الرد الأول له، وإنما سبق ورده الله تعالى إلى أمه. أما الرد فمتعلق بأُمّه، أي كان دون إرادته، وكان رداً سريعاً، لم يتغير في حاله شيئاً، فقد فارقها رضيعاً وعاد إليها رضيعاً. وهذا يعني أن الرجوع والرد يناسب عاطفة كلٌّ منهما.

وكذلك الحال بالنسبة لقول أخت موسى جاء الاختيار لمفردات مختلفة في جملة مقول القول للسورتين، ففي سورة طه: ﴿ **فَتقُولُ هَل أَدُلُّكُم عَلَى مَن يَكفُلُهُ**﴾[36]، وفي سورة القصص: ﴿

DOI:10.52113/uj05/023-16/619-627

﴿فَقَالَتْ هَل أَدُلُّكُم عَلَى أَهلِ بَيتٍ يَكفُلُونَهُ لَكُم وهُم لَهُ نَاصِحُون﴾[37]، ففي جملة مقول القول الأول ذكرت مَن يكفله، وفي جملة مقول القول الثاني ذكرت أهل بيت يكفلونه؛ وذلك لاختلاف المخاطَبين في السورتين، فالإيجاز في سورة طه يوافق خطاب موسى الذي يذكره بأحداث ماضية. والإطناب في سورة القصص يوافق خطاب أُمّ موسى ويبعث الاطمئنان إلى قلبها لاختيار مفردة البيت التي توحي باستقرار رضيعها فيه، والمبيت معها.

وهناك فارق في سورة القصص نفسها، إذ قال تعالى في وصفه لمشاعر أُمّ موسى: ﴿وأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبدِي بِهِ لَولا أَن رَّبطنَا على قَلبِهَا لِتَكُونَ مِن المُؤمِنِين﴾[38]، فمرة قال: فؤاد، وفي المرة الثانية قال: قلب. فما هو الفرق بين المفردتين؟، ولماذا هذا الاختيار بالترتيب؟.

القلب اسم للجارحة، وسُمِّيَ بذلك لكثرة تقلبه[39]. والفؤاد كالقلب، وسُمِّيَ بالفؤاد لحرارته، فالتفؤد بمعنى التوقد؛ لأنه من فأدتُ اللحم إذا شويته[40]. وإذا علمنا ذلك عرفنا المعنى في الآية، فربط القلب جاء بعد توقد فؤاد أُمّ موسى بفراق ابنها. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على دقة اختيار القرآن الكريم لألفاظه.

التوافقات بين سورتي طه والقصص:

أما من التوافق بين السورتين، وبما ينسجم مع العاطفة أيضاً، نلاحظ ورود حرف الفاء بكثرة فيهما، ففي سورة طه جاء في المقاطع الآتية: ﴿ فَاقْذِفِيهِ، فَلْيُلقِهِ، فَتَقُولُ، فَرَجَعنَاكَ﴾، كما وردت ضمن أصول الكلمات: ﴿ اقذِفِيهِ، فِي، فَاقْذِفِيهِ، فِي، يَكفُلُهُ﴾.

وكذلك الحال في سورة القصص، إذ جاءت الفاء ضمن الكلمات الآتية: ﴿ فإذَا، فألقيهِ، فَالتَقَطهُ، فَبصُرَتْ، فَقَالَتْ، فَرَدَدنَاهُ ﴾، فضلاً عن ورود الفاء ضمن الأصول للكلمة مثل: ﴿ خِفتِ، فِي، ولا تخَافِي، فِرعونَ، يَنفَعَنا، فُؤَادُ، فَارِغاً، يَكفُلُونَهُ﴾، التي زادت من إبراز قوة صوت الفاء في الآية.

وكأن الحادثة وقعت بين هذه الكلمات في السورتين، فهي ما أن قذفته في اليم، حتى ألقاه اليم في الساحل، فقالت أخته، فرجع إلى أمه، في سورة طه. وما أن شعرت بالخوف عليه حتى ألقته في اليم، فالتقطه آل فرعون، فبصُرت به أخته، فقالت مقولتها، فرده الله تعالى إلى أمه.

والفاء هنا دالة على الترتيب والتعقيب من دون تراخٍ أو تمهل[41]، فضلاً عن صفتها الدالة على الاستمرارية والاحتكاك[42]. وهذا ما يتناسب مع أحداث القصة السريعة، التي نكاد نجزم أنها حدثت في نصف يوم أو أقل من ذلك، وربما لم تتجاوز الساعات، والدليل على ذلك هو القرآن الكرين نفسه؛ لأنه قال: ﴿ وَحَرَّمنَا عَلَيهِ المَرَاضِعَ﴾[43]. فمن غير المعقول أن يبقى الرضيع لساعات طويلة دون رضاعة، ناهيك عن يوم كامل. وهذا ما ذكره صاحب تفسير التقريب بقوله: ((لم تفارق ابنها إلا ساعات قلائل))[44].

ومما يؤكد سرعة رجوعه إليها، نهيها عن الخوف والحزن، وتبشيرها بذلك، من خلال قوله تعالى: ﴿ ولا تخَافِي ولا تحزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِليكِ﴾[45]. فضلاً عن دلالة اسم الفاعل (رادّ) في: (رادُّوه) على ((الحدث والحدوث وفاعله))[46] الذي يتماشى مع سرعة الأحداث. قال الآلوسي في تفسير (إنا رادوه إليكِ): ((عن قريب بحيث تأمنين عليه، ويومئ إلى القرب السياق. وقيل التعبير باسم الفاعل؛ لأنه حقيقة في الحال))[47].

أما دلالة الفاء على مستوى الصوت اللغوي في المفردات التي ورد فيها ضمن أصولها؛ فإن إنتاج هذا الصوت يتم ((عن طريق ملامسة الشفة السفلى للأسنان العليا، بصورة تسمح بمرور الهواء، ولكن مع حدوث احتكاك استمراري))[48]، أي أن الفاءات الاستمرارية في احتكاكها تناسب الفاء العاطفة في دلالتها على السرعة الزمنية، مع دلالتها على قوة الأحداث وملامستها للقلب بقوتها الاحتكاكية المستمرة باستمرار المواقف الصعبة في السورتين.

DOI:10.52113/uj05/023-16/619-627

الخاتمة

إنما جاء اختيار سورتي طه والقصص في بيان العاطفة عند الأنثى؛ لأنه وبسبب قصة موسى مع أُمّه في سورتي طه والقصص نُسِبت العاطفة للأنثى, ولاسيّما في قوله تعالى: ﴿ وأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إن كادَتْ لَتُبدِي بِهِ لَولا أن رَّبطنَا على قَلبِهَا لِتَكُونَ مِن المُؤمِنين_ القصص: 10﴾, فضلاً عن أن السورتين مكملتان لبعض, إذ تتضح ملامح القصة منهما معاً, فضلاً عن أحداث الهجر والفراق, والبعد والوصال, والعشق والكره, والخوف والحزن. كُلُّ ذلك جاء مع شخصيات القصتين معاً وممزوجاً بالعاطفة البشرية, ودوره هذه العاطفة في رسم خارطة طريق لتحرير الإنسانية بتمهيدها لحياة نبيٍّ من الأنبياء, هو موسى (عليه السلام). مع دلالة هذه القصة على أن العاطفة عند الأنثى مقيدة لا مطلقة, بمعنى أن عاطفتها ليست مباحة دائماً, ولا معروضة للجميع, فضلاً عن قدرتها على التحكم بها وتوجيهها بما يلائم مزاجها ونفسيتها. وكان للبناء اللغوي بأنواعه الثلاثة, ونقصد بذلك البناء الصوتي والبناء الصرفي والبناء التركيبي أثره في إبراز هذه العاطفة بنوعيها السلبية والإيجابية عند الأنثى. آملة أن يكون ما ذكرتُ بارقةَ أملٍ للنهوض بواقع المرأة الذي تطبعت عليه قبل الرجل, وإشارة للرجل للنظر إلى المرأة من زاوية مختلفة غير عاطفتها للنهوض بواقعها فهي نصف المجتمع ومربية للنصف الآخر, فمن المحال أن تكون هذه التربية مقتصرة على العاطفة وحدها.

هوامش البحث:

1() معجم مقاييس اللغة: 759, وينظر: القاموس المحيط: 773.

* العَوَج: ما يدرك بالبصر, والعِوَج: ما يدرك بالبصيرة, أي أن العَوَج في الماديات, والعِوَج في المعنويات. (ينظر: معجم مقاييس اللغة: 692, ومفردات ألفاظ القرآن: 592).

2() مفردات ألفاظ القرآن: 572.

3() ينظر: المصدر نفسه.

4() الإسراء: 83.

5() مفردات ألفاظ القرآن: 572.

6() القاموس المحيط: 773.

7() طه: 38-40.

8() القصص: 7-13.

* والوحي هنا: صورة من صور ثلاث لكلام الله تعالى مع البشر, مجموعة في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلَّا وَحيَاً أو مِن وَرَاءِي حِجابٍ أو يُرسِلَ رَسُولاً فَيُوحِي بِإذنِهِ مَا يَشَاءُ إنَّهُ عَليٌّ حَكِيمٌ_ الشورى: 51**﴾, أي أن كلام الله معها كان من الصورة الأولى؛ لأنه تعالى بشرها برسالة مولودها, وهذا لا يدخل ضمن الإلهام والقذف القلبي, إذ ليس من تصرف العقلاء أن تُقدم الأُمُّ على قذف رضيعها في اليمّ, لمجرد إلهامٍ قلبي قد يصدق وقد يكذب, فإلقائه بهذا المعنى من الوحي يُعدُّ من الجنون. **هذا أولاً.**

ثانياً: كما لا يدخل هذا الإيحاء ضمن إرسال الملائكة إلى غير الأنبياء, الذي قال به المفسرين, مستشهدين برواية الأقرع والأبرص والأعمى؛ وأجمعوا على أن الأنثى لا تصلح للقضاء والإمامة, فكيف تصلح أن تكون نبيّة (ينظر: تفسير جامع البيان: 735/8, وتفسير مفاتيح الغيب: 51/22, وتفسير البحر المحيط: 100/8, وتفسير روح المعاني: 45/20). أي أنهم أجمعوا على أنه وإن كان ملكاً مرسلاً إلا أنه لا يثبت نبوتها؛ لأنه كإرساله للأقرع والأبرص والأعمى, على رواية البخاري (ينظر: صحيح البخاري:857, الحديث: 3464). وبغض النظر عن حكاية علاء الدين والمصباح السحري في هذه الرواية, يرى البحث أن القرآن في إرساله للملك, هو لوضع ملامح قصة نبيٍّ من أنبياء أولي العزم, لها دورها في إنقاذ أُمّة وهدايتها, لا لتحقيق أمنية فردية دنيوية لأفراد عاديين كالأقرع والأبرص والأعمى.

وثالثاً: إذا اعترض معترض على أن الوحي لا يكون للإناث وإنما للذكور فقط, نقول: لا يوجد في هذه الآية ما يدل على ذلك؛ لأنه تعالى قال: (وما كان لبشرٍ) ولم يقل: (وما كان لذكرٍ), والبشر يدخل فيه الذكور والإناث, هذا أولاً.

ورابعاً: هناك آيات صريحة بنزول الروح على مريم (عليها السلام): ﴿ **فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَاباً فَأرسَلنَا إلَيهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً_ مريم: 17**﴾ وفي موضع آخر تردد نزول الملائكة عليها أكثر من مرة, وذلك في سورة آل عمران: ﴿ **إذْ قَالَتِ الملائِكةُ يَا مَريَمُ إنَّ اللهَ اصطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ ۞ يَا مَريَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدِي وارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ۞... إذْ قَالَتِ الملائِكةُ يَا مَريَمُ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنهُ اسمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَريَمَ وَجِيهَاً فِي الدُّنيَا والأَخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ_ آل عمران: 42-45**﴾, فضلاً عن الحوار الذي وقع بينها وبين الملائكة, وهذا أقوى

DOI:10.52113/uj05/023-16/619-627

دليل على أن مريم نبيّة من الأنبياء؛ لأنه اصطفاها كما ﴿ **اصطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبرَاهِيمَ وآلَ عِمرَانَ عَلَى العَالَمِينَ_ آل عمران: 33**﴾.

وخامساً: إن هناك جملة من التفاسير لا تعارض أن يكون الإيحاء بإرسال ملك, بدليل الخطاب في قوله تعالى: ﴿ **إنَّا رادُّوهُ إليكِ وجاعِلُوهُ من المُرسَلِين_ القصص:7**﴾. (ينظر: تفسير جامع البيان: 735/8, وتفسير البحر المحيط: 100/8 تفسير روح العاني: 45/20).

9() تفسير روح المعاني: 49/20.

10() تفسير التقريب: 78/2-79.

11() القصص: 9.

12() القصص: 11.

* وإن كان في كتابه هذا متحاملاً كثيراً على المرأة وينتقص منها تكويناً, وينادي بأفضلية الرجل عليها.

(13) ينظر: المرأة في القرآن: 12.

(14) هذا ما درسناه في البحث الموسوم بـ (عاطفة الذكر في القرآن الكريم, دراسة في بنية اللغة), ووصلنا إلى نتيجة مفادها: أن عاطفة الذكر أقوى من عاطفة الأنثى بدليل سورة يوسف, ومقارنتها بعاطفة الأنثى في سورتي: طه والقصص.

15() طه: 38-41.

16() القصص: 7-13.

17() القصص: 12.

* أما ما يحصل من قتل وتعنيف للأطفال, سواءً من الأنثى أو الذكر, وكل ما يدخل تحت فقرة العنف الأسري, فإنها لا تصدر إلا من إنسانٍ مريضٍ نفسياً, شاذٍ عن القاعدة؛ لأن الإنسان السليم بطبيعته التي فطره الله عليها لا تصدر منه هذه الأعمال.

18() طه: 40.

19() القصص: 11.

20() تفسير البحر المحيط: 226/6.

21() القصص: 8.

22() القصص: 7.

23() طه: 40.

24() ينظر: الفعل والزمن: 80, ومعاني النحو:284/3.

25() طه: 38.

26() طه: 40.

27() ينظر: تفسير روح المعاني: 192/16.

28() القصص: 20.

29() طه: 39.

(30) طه:40.

31() القصص: 11.

32() طه: 41.

33() القصص: 13.

34() ينظر: الفروق اللغوية: 114.

35() ينظر: معجم مقاييس اللغة: 422.

36() طه: 41.

37() القصص: 12.

38() القصص: 10.

39() ينظر: الفروق اللغوية: 161, ومفردات ألفاظ القرآن: 681.

40() ينظر: معجم مقاييس اللغة: 804, ومفردات ألفاظ القرآن: 646.

41() ينظر: حروف المعاني: 39, والجنى الداني: 61.

42() ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 315.

43() القصص: 12.

44() تفسير التقريب: 550/1.

45() القصص: 7.

46() معاني الأبنية: 46.

47() تفسير روح المعاني: 45/20.

48() دراسة الصوت اللغوي: 315.

قائمة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم.
- تفسير البحر المحيط, أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف، ت: 754 ه), تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود, والشيخ علي محمد معوض, وآخرون, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط/1, 1413ه, 1993 م.
- تفسير التقريب لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور, الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد, دار ابن خزيمة, د.م, د.ط, د.ت.

DOI:10.52113/uj05/023-16/619-627

- تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن, تفسير جامع البيان, (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري, ت: 310ه), تحقيق: إسلام منصور عبد الحميد, دار الحديث, القاهرة, د.ط, 1431ه, 2010م.
- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، ت: 1270 ه), تحقيق: السيد محمود شكري الآلوسي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان –(د.ط) – (د.ت).
- الجنى الداني في حروف المعاني, المرادي (حسن بن قاسم، ت 749 ه) – تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة, والأستاذ محمد نديم فاضل, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط/1, 1413ه, 1992م.
- حروف المعاني, الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، ت: 340 ه), تحقيق: الدكتور علي توفيق الحمد, (مؤسسة الرسالة, بيروت), (دار الأمل, إربد, الأردن), ط/2, 1406ه, 1986م.
- دراسة الصوت اللغوي, الدكتور أحمد مختار عمر, عالم الكتب, القاهرة, (د.ط), 1976م.
- المرأة في القرآن, عباس محمود العقاد, نهضة مصر, مصر, ط/3, 2005م.
- معاني الأبنية, الدكتور فاضل صالح السامرائي, المكتبة الوطنية, بغداد, ط/1, 1981م.
- معاني النحو, الدكتور فاضل صالح السامرائي, بيت الحكمة, بغداد, (د. ط), 1989م.
- معجم مقاييس اللغة, ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا, ت: 395ه), تحقيق: الدكتور محمد عوض مرعب, والآنسة فاطمة محمد أصلان, (د.ط), دار إحياء التراث العربي, بيروت, لبنان, 1429ه, 2008م.
- مفردات ألفاظ القرآن, الراغب الأصفهاني، ت 503 ه، تحقيق: صفوان عدنان داوودي, منشورات ذوي القربى, بيروت, لبنان, ط/1, 1996 م.
- الفروق في اللغة, أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل، ت 405 ه), تحقيق: محمد إبراهيم سليم, دار العلم والثقافة, القاهرة, (د.ط), 1418ه, 1997م.
- الفعل والزمن, الدكتور عصام نور الدين, المؤسسة الجامعية, بيروت, لبنان, ط/1, 1984م.
- القاموس المحيط, الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب, ت: 817ه), إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشلي, دار إحياء التراث العربي, بيروت, لبنان, ط/2 , 1424ه, 2003م.

Female emotion in the Holy Quran, the story of Umm Musa as a model, a study in the structure of language

ABSTRACT

The voices rose until they reached the level of axioms that passion is a woman, and a woman is passion, as evidenced by the story of Umm Musa in the Almighty's saying: {And the heart of Umm Musa became empty if she would have expressed it had it not been for We tied her heart so that she would be among the believers_ Al Qasas: 10}, and the judgment became through This verse is absolutely to judge women with passion. I wish it was a praiseworthy ruling, but rather this ruling robbed the woman of many rights under the pretext of this verse, in which we do not find what they found. So we had a pause with this verse in particular, and with the story of Umm Musa in general, through this study in proving that the emotion is not absolute in women, and that she possesses the mind that contributed greatly to the advancement of the reality of societies.

DOI:10.52113/uj05/023-16/619-627